المكان الروائي وتمظهرات الراوي قراءة في رواية (رائحة التفاصيل) لسليمان الصدي

م . د . خالد محمود خلف الجبوري
كلية التربية للعلوم الانسانية
جامعة كركوك

الكلمات المفتاحية: المكان، رائحة التفاصيل، الرواية.

الملخص:

تسعى الدراسة التي جاءت مقسمة حسب تمظهرات المكان الرئيسة في العمل الروائي (رائحة التفاصيل) للوقوف على علاقة المكان بالرّاوي، والتي بينت حجم الاختلاف بين مكان الولادة ومكان الاغتراب، والتي تعاملت مع الأحداث والشخصيات المختلفة في كل مكان، وحاولت فهم الشخصية الرئيسة التي تقود العمل بشكل عام.

المكان الروائي وتمظهرات الراوي : مفهوماً إجرائياً

إن الحديث عن المكان يأخذ أكثر من بُعد وأكثر من اتجاه وتصوّر، وربما لا يمكن لبحث إجرائي أن يحيط بهذا المفهوم الواسع ، لكن لنا أن نقف عند المفهوم العام من جهة وعلاقة المكان بالرّاوي على صعيد بحثنا من جهة أخرى، فالمكان " لا يمكن أن يظهر بشكل مستقل فهو ملعب الأحداث والشخصيات الروائية، فكما أجيد بناءه وتجهيزه استطاعت الاحداث والشخصيات أن تؤدي دورها بشكل أفضل وتبرز مهارتها بشكل أكمل" [1]، ومن مفاهيم المكان الأكثر تداولاً هي تحديد مفهوم المكان بين البعد النّصي والبعد الهندسي، وهو بهذا المفهوم ليس "مساحة ذات أبعاد هندسية أو طبوغرافية تحكمها المقاييس والحجوم، ويتكون من مواد، ولا تحدد المادة بخصائصها الفيزيقية فحسب بل هو نظام من العلاقات المجردة، فيستخرج من الأشياء الملموسة بقدر ما يُستمد من التجريد الذهني أو الجهد الذهني المجرد" [2] ، ومن هنا يمكننا الايمان أن المكان لا يمكنه العمل أن يشغل حيزاً هندسياً ولا نصيّاً خارج (مكينه) ، لأنه كما يقال في الفلسفة أن المكان بالمكين ، لهذا جاءت دراستنا في ضوء علاقة المكان بشعور الشخصية الرئيسية / الرّاوي ، والشخصيّة "مشتقة من الأصل اللاتيّني تعني هذه الكلمة القناع الذي كان يلبسهُ الممثّل حيث يقوم بتمثيل دور أو كان يريد الظّهور بمظهر معيّن أمام الناس ، فيما يتعلق بما يريد أن يقوله أو يفعله، وقد أصبحت الكلمة على هذا الأساس تدلّ على المظهر الذي يظهر به الشخص، وبهذا تكون الشّخصيّة ما يظهر عليه الشّخص في الوظائف المختلفة

التي تقوم بها على مسرح الحياة" [3] ،أما في الرواية فهي بمعنى قريب من مفهوم الشخصية العام هذا ، وفي رواية رائحة التفاصيل على وجه الخصوص تأخذ فيها الشخصية الرئيسة / شخصية الراوي دفّة العمل وتحركه كما تشاء وتظهر بقية شخصيات العمل كما تحب أن تظهرهم ، وهي "فعل يقوم به الراوي الذي ينتج القصة وهو فعل حقيقي أو خيالي ثمرته الخطاب، ويشمل السرد على سبيل التوسع مجمل الظروف المكانية والزمانية والواقعية والخيالية التي تحيط به، فالسرد عملية إنتاج يمثل فيها الراوي دور المنتج والمروي له دور المستهلك والخطاب دور السلعة المنتجة، فالسرد هو الخيارات التقنية (الإبداعية) التي يتم عبر تحويل الحكاية إلى قصة فنية وهو يشمل الراوي والمنظور الروائي وترتيب الأحداث، ويطلق السرد كذلك على صيغة من صيغ الخطاب وظيفتها وصف سير الحدث كفعل في زمن"[4] ، ولم يتوقف عمل الشخصية بوصفها راوياً وإنما مهمتها إظهار" تركيبنا الثقافي، عندما تنقل الأشياء الصغيرة ثقافة صناعتها ومنتجيها، وفي جعلنا قادرين على قراءة التواريخ عندما تصبح هذه الأشياء وثائق ومدونات وأيقونات وشواهد وأمثلة، "[5] وهي في الرواية قيد القراءة (رائحة التفاصيل) لسليمان الصدي[6]. – تتداخل بين السيري الخاص ، والسرد العام " ويبدو أنّ الالتباس الحاصل بين فنّ (السيرة الذاتيّة) وفن (الرواية) التباس أصيل وفاعل ومُنتِج لفرط استثمار المرجع السيرذاتيّ في الرواية لدى أكثر الروائيين، ولا يمكن بأيّة حال من الأحوال تفادي حصول هذا الالتباس أو منع تسرّب مياه المرجع السيرذاتيّ نحو سهول الرواية، ولا يمكّن التحكّم باستبعاد السيرذاتيّ عن الروائيّ مهما بالغ الكاتب في تخييليّته الروائيّة الموضوعيّة بحثاً عن كتابة روائيّة صافية خالية من خيوط السيرة الذاتيّة وكِسَرِها وتجلّياتها. وهنا تبرز موهبة الكاتب وقدرته على (تحويل) السيرذاتيّ إلى روائيّ، وتكييفه تخييليّاً على النحو الذي يبدو العمل فيه وكأنّه لا علاقة له بالمرجع السيرذاتيّ مطلقاً" [7] ، فقد استطاع الراوي في روايتنا أن يسهم على نحو فعال في إظهار المكان السيري وعلاقته بالمحيط بشكل عام .

إن " لمن يتابع حركة أية رواية ما أن يهمل المناخ الاكثر هيمنة وحضوراً ، وفي الوقت نفسه لا يمكن أن يتتبع هذه الهيمنة والحضور خارج حدود تكوينها وعوامل تشكيلها ومرجعيتها واسسها البنائية وشواغلها الآنيّة التي تُشهر مجتمعة على تأسيس رؤية واضحة للدور الذي تلعبه وتحاول الوقوف عليه ، من هنا تبدو الشّخصية الرئيسية في رواية (رائحة التفاصيل) ، – على اختلاف تجلياتها – أحد ابرز عوامل تمويل المناخ الروائي بعلامات تشكيل مرجعياتها واختلاف توجهاتها على نحو تؤدي به دورها المنشود في أن تكون ذات حضور سردي طويل تقطع من اجل الوصول

إلى فاعليته مراحل مهمة وخصوصيّة عالية ، تمكنك من قراءتها قراءة مركزية ورئيسة تتموج بتموج الماء حول المحيط بها مرّة ، وتأثير ما حولها وما بداخلها من متراكمات تكوينها مرّة أخرى ، وهي على صعيد التبويب السردي المتشعب يمكنها في أحد اشكالها الأكثر بروزاً أن تعد بما يصطلح عليه (رواية الشخصيّة) " [8] ، ومن هذا المنطلق كان عملنا على دراسة علاقة المكان بشخصية الرّاوي، إن للمكان صور كثيرة قد " يوظفها الراوي بحسب رؤيته الفنية، فمنهما ما يكون متخيل من الواقع، ومنه ما يكون تخيل أضفى عليه بعض المعالم من الواقع، ومها مايكون خاليا يبقى محصور في ذهن الراوي من دون الاطلاع عليه من أحد " . [9]

نسعى في دراستنا الموسومة المكان الروائي وتمظهرات الراوي ، إلى الوقوف عند العلاقة بين المكان والرّاوي / الشخصية الرئيسة التي عملت على قيادة الرواية من بدايتها إلى النهاية والتي يعتقد أنها رؤية سير ذاتية لوجود ملامح تطابق كبير بين الرّاوي والروائي ، لهذا عدّها البعض بما يسمى رواية الشخصيّة، لأن الشخصية الرئيسة فيها هي التي تهيمن على الشخصيات الأخرى فضلاً عن تقانات السرد جميعها ، إلى جانب ذلك يمكن رصد علاقة الرّاوي بالمكان على محورين رئيسين وهما : الحنين إلى مكان الولادة وهي سوريا (دمشق) على وجه التحديد، ومكان الاغتراب بوصفه مكانًا قلقًا ومحاولات مستمرة للترحيل، فضلاً عن تعامله المختلف مع شخصيات العمل داخل مكان الولادة ومكان الاغتراب ، وهذا ما رُصدَ في أكثر من محور ، لذا جاء العمل مقسماً على هذا الأساس .

مكان الولادة: تفاصيل الحنين :-

يُعد البُعد المكاني مجموعة من العلاقات التي تُسهم على نحوٍ فعال في تشكيل الرؤية الخاصة بمنظومة دلالات، وإن هذه العلاقة ليست تشكيل للجمادات أو غيرها وإنما هي مجموعة زوايا تنظم علاقة الشخصية بالمكان وبالتالي يتم التعامل على وفق هذه الرؤية التي تعطي انطباع خاصاً للقارئ وكذلك الكاتب، كون المكان "ليس مجرد تشكيل للمادة والاشياء في صورة تُدرك لذاتها وانما هي تظهر في النص من خلال زوايا نظم رؤى لتعبر عن انبثاق عالم كامل له حركته ومجاله الانفعالي " [10] وإن العلاقة بالمكان تُعيد "خلق المكان من خلال فعل الصورة المجسدة بالكلمات" [11]

- ((عشقت دمشق عشق المجانين؛ لأنك أتيت إليها صرت جزءاً منها، صارت أغنية على شفتي، وقصيدة على ورقي، معك وفيها أرى النور يا مصدر العطور ستبقين خالدة في ذاكرتي، سنحيا معاً ونموت معاً.

فيا مرفئي الأخير بعد رحلة عمر مضنية: لقد تنقلت كثيراً في مرافئ الحياة، تألمت وفرحت، فشلت ونجحت، أبحرت ورسيت)) [12].

تسعى الرؤية السردية في النص إلى رفده بمجموعة عوامل تؤكد تشابك المحيط بالمكان بكل تقنياته، فعلى الصعيد التركيبي النحوي والبلاغي يسعى النص إلى تأكيد علاقة الراوي بالمكان بواسطة –مثلاً- التكراري الاشتقاقي تارة (عشقت / عشق) ، وعلى الصعيد التشبيهي تارة أخرى (صارت أغنية على شفتي / قصيدة على ورقي) ، وهي رؤية تحسم علاقة الراوي بالمكان ، وهو مكان عربي عام على صعيد التقسيم التقاني للمكان ، لكنّه على الصعيد الدلالي ، هو مكان الولادة، مكان الحب الأول، مكان الحنين، وهو المقابل الفعلي لمكان الغربة ، وبالتالي هو مكان العوز / الحنين ، مقابل مكان الغربة ، الرفاهية / الضجر، وبالتالي هو مكان الاستقرار (بعد رحلة عمر مضنية) ، يشتمل على كل مفاصل الحياة (تألمت/ وفرحت / فشلت ونجحت / أبحرت ورسيت) ، معلناً فيه الراوي انتهاء العلاقة بالأماكن غير الوطن ، الماثل في كل الرواية .

((لا يزال ذلك اليوم الذي جهزت فيه حقائبي للسفر حاضراً في مخيلتي، كانت الشمس قد مالت قليلاً عن كبد السماء، فلاح قرصُها من بعيد فوق قبة كنيسة بلدتي كأنه منبثق منها إلى السماء، أو عائد إليها بعد تجوال في أرجاء المعمورة، يغمر رؤوس الأشجار المخضرة، وجدران البيوت الحجرية، والطرقات الريفية المزركشة بأشجار الزيتون، ولآلئ سنابل القمح، تسري فوقها بأشعة لطيفة. حينها امتصت برودة تشرين لظاها، وأرسلت بين خيوطها الذهبية لطفاً ودعة، كانت بلدتي كل شيء جميل في حياتي، كنت أرنو إلى طرقاتها الترابية، وقد تراشقت الأشجار على أطرافها، فتتخايل لي كآلهة يونانية يجثو بين يديها عابدون ساعة السَّحر، أما السماء فقد طُرزت نواحيها بسحب رقيقة، كانت الريح تهمس في أذن ورق الشجر، فيُصدر أصواتاً توحي بحزن مهيب... استشرفت منه حزني الآتي!)) [13]

يمكن أن يندرج النص الماثل أمامنا على أنه يوميات مضمنة في الرواية، وهي الجنس الأقرب – اليوميات – إلى الروايات ذات الطابع السيري، إذ إن المقارنة بين شخصية الراوي (عزام العبدالله)، وشخصية سليمان الصدي يعتريها الكثير من التداخل والتشابك، في حين يسعى الراوي إلى جعل النص زاخراً بالوصف المكاني ويبدو أن هذا الوصف الدقيق له علاقة بتفاصيل المكان وله علاقة بالغياب ومن ثم فان محاولة جمع تفاصيل المكان لجعلها خالدة في الذاكرة السردية وموازية لباقة الحنين ، حيث تبدو صيغة الوصف أقرب إلى وصف الأجزاء بتفاصيل

دقيقة ، فعلى الصعيد الكوني يمكن اعتبار الزمن مسائي ، يسعى هذا الزمن إلى فرض طابع الحنين .

- ((وكان الباص ينقلنا كل يوم إلى مكان الحفارة، كنت أجلس بجانب والدي، أسرح بخيالي إلى حيث سورية.. إلى حيث أمي وإخوتي، سورية لا أشبع من حبّها الواخز.. أصابعي خضراء على قلبها المشقوق، إنني أعيش هنا وأنا مدجّج بوطني، سورية كانت تشهق يخضوراً في رئتي..

تذكرت حين كانت أمي تضغط على يدي وتشجعني:

- -أريد أن أراك وزيراً
- أخذت إسوارة من معصمها، ووضعتها في يدي، وطالبتني بأن أصرف منها لئلا أحتاج أحداً.
- وطني يسكن أوردتي.. حين يخضر الكون في نظرات أمي.. وفي مخيلة بلدتي أستطيع أن أنادي الجميع ليخرجوا مني.. ومنه!
- انتبه والدي إلى وجهي المتجهم فبادرني بسؤاله:
- أنت حزين؟
- لا شيء يستحق أن أحزن عليه في هذا المكان
- أنت حزين على أصحابك الداشرين الذين تركتهم في سورية.. أصحابك داشرون مثلك لا يملكون ثمن رغيف خبز ويعملون في السياسة))[14]

يندرج النص ضمن المقدمات الوصفية التي يأخذنا بها الرّاوي إلى حيث التفاصيل الدقيقة ، إذ يتجلى المكان في محاور عديدة مرّة منفرد ومرّة ممزوج بالشخصيات ، إذ تحتشد فكرة المكان بوصفها السيمائي القار في أصل الدلالة / الحنين (أسرح بخيالي إلى حيث سورية / إلى حيث أمي وإخوتي / سورية لا أشبع من حبّها الواخز/ أصابعي خضراء على قلبها المشقوق / إنني أعيش هنا وأنا مدجّج بوطني م سورية كانت تشهق يخضوراً في رئتي / وطني يسكن أوردتي) ، إذ ما يلبث المكان السردي الميداني إن صح التعبير إلى أن يظهر بين الحين والآخر مشفوعاً برغبة حنين ، على نحو يقدّم مشهداً عارقاً في الحنين ، على الرغم من محاولة الحوار أخذ المسار نحو اللامكان ، أو نفي ذلك الحنين ، وهنا تتجلى القيمة الفعلية للمكان عند الراوي / الشخصية الرئيسة ، على الشكل المغاير لتصورات الأب عن المكان :

- انتبه والدي إلى وجهي المتجهم فبادرني بسؤاله:

– أنت حزين؟

– لا شيء يستحق أن أحزن عليه في هذا المكان

إذ إن المقطع الحواري هذا لاسهم بأي شكل من الاشكال في هزيمة الراوي أو تحويل الموجب إلى سالب، وإنما على العكس تماماً يهيمن مناخ الحنين على الراوي إلى الحد الذي يمكن أن نستشعر به القيمة الإيجابية الإنسانية للمكان / الوطن .

((تذكرت حين جمعت اصدقائي في بيتنا التراثي القديم، كنا صغاراً لم نتجاوز الحادية عشرة، اشعلت الشموع، ووضعتها في نافذة غرفتي الحجرية، وسترت الشموع بقطعة خيش، ثم أخذت صور وشرعت بتمريرها خلف الشموع، فبدا عرضا سينمائيا، كان حلمي ان اكون مخرجاً سينمائياً في هوليوود، وفجأة دخل أبي، مزق قطعة الخيش، فهرب الاطفال خوفاً منه، أما أنا فنلت نصيبي من الضرب والرمي خارج البيت)) [15]

تبدو الذاكرة هي المناخ المهيمن على تفاصيل الحنين والاجزاء العالقة في ذاكرة الرّاوي ، لكنّ بنية الذاكرة هذه لم تتوقف على الفعل الزمني السردي وإنما أفادت كثيراً من تقنيات السينما ، على نحو تعيد فيه انتاج القص بطريقة مرئية ويكشف السرد عن صورة مونتاجية متلازمة (اشعلت / وضعتها / سترت / اخذت / هرب / نلت) ، وهي مؤشرات ترتب السرد من جديد بحركة إيقاعية تبدو أكثر فاعلية واكثر شوق لمعرفة الأجزاء المترتبة على الكل (الذاكرة) ، إذ تتجلى الأفعال وهي تعيد ذاكرة الشخصية / المكان (البيت القديم) ، بطريقة تحتشد فيها أجزاء الحنين إلى تفاصيل دقيقة .

((تحدثت إلى شآمي كثيراً يا حبيبتي، كتبت لها وعنها، قلت لها : شام يا بنت الخلود، ارادوا إشعال النار فيكي، وهم لا يعرفون ان يد الله مبسوطة عليك إلى يوم القيامة، لا يدركون أن الطريق إلى الجنة يمر بك، لا يبصرون حجمك الحقيقي، إن أكبر بلد في العالم هو الشام، ورب قائل : إنك لا تعرف شيئاً في الجغرافية ساجيبه: عفواً يا سيدي بل إنك انت من لا يعرف شيئاً في التاريخ.)) [16]

يشكل المكان بالنسبة للمهاجرين – إذا ما اعتبرت الرواية تشيكلاً سيرذاتياً- مكاناً مأزوماً ، ويبقى مكان الإقامة هو المكان المؤقت ، بينما يشغل المكان الأصل – مكان الولادة هو المكان الدائمي الذي يهيمن على حياة وإبداع الكاتب / المهاجر ، وإن اكثر من قراءة يمكنها ان تكشف عن طبيعة العلاقة بين الراوي والمكان .

((في قرية من قرى الشام الوادعة.. في قرية قادمة من عمق التاريخ.. قرية يوقظها داود بالمزمار، وينحت من سهلها معبده.. ألقت على الكون مفاتنها، ما ليس إلا الله يشهده... نشأت، أنشدت لها

أجمل الكلمات، ومما أقوله لها الآن: "يا بلدتي الغالية أحيّي سهلك عن بعد فحيّيني يا قرية الخير يا أم البساتين، أحيي سهلك ظمآن أحتمي به كما تحتمي الحمائم بين الماء والطين. يا قرية الخير خلّي الزيتون شامخاً لكي أقوى به على برد الكوانين. يا قرية الخير ما يُشجيك يشجيني، في سهلك الطهر يا بلدتي يا أم البساتين.))[17]

تدور الهيمنة الدلالية لعلاقة الرّاوي بالمكان بداية حول الوصف الدقيق لمناخ القرية والتي تتابع بوعي بتفاصيل المكان الريفي ، يسعى فيها الرّاوي إلى جعل الصفات الدقيقة لها ملازمة فعلى النحو الذي يصفها بـ (الوادعة) ، يضفي عليها صفة تاريخية (عمق التاريخ) ، لتركيز صفتي الاستمرارية الحاضرة والبعد الذاكراتي ، متجلّياً بواسطته الحراك الإيقاعي المبني في اتجاهين ، أحدهما متخيل صوتي ، (قرية يوقظها داود بالمزمار) والثاني تناص شعري مع بيت الجواهري المشهور (أحيّي سهلك عن بعد فحيّيني يا قرية الخير يا أم البساتين، أحيي سهلك ظمآن أحتمي به كما تحتمي الحمائم بين الماء والطين) وهو يعيد إلى الذاكرة التناص الدلالي بين حنينه وحنين الجواهري كون الصفة التي تجمعهما (الاغتراب) ، وإن شعور الحنين ماثل ومعزز بهذه التناص .

(كانت فائقة الجمال، ممشوقة القد، بيضاء البشرة، صافية العينين، ولمست من حديثها رقتها، ونقاءها. صار لقاؤنا لازمة تتكرر كل يوم، شعرت بميل تجاهها، وصارت ترافقني في سفري من مدينتي إلى دمشق، ومن دمشق إلى مدينتي، وكنت قد استأجرت بيتاً صغيراً في الطبالة، كانت تزورني في بيتي، ونقضي الوقت، فلا نشعر به ، لا أعرف كيف استرسلت في مشاعري تجاهها، نسيت "سعاد"، واتجهت إليها، وكنت أشعر بسعادة حين نكون معاً) [18]

علاقة الرّاوي بالمكان تبقى علاقة استذكار وحنين على طول الرواية ، في حين يسعى الوصف أن يكون هو الأكثر تجليّاً لتشكيل صورة بصرية مقابلة للصورة الدلالية – السردية ، في حين يسعى الرّاوي بوعي أن يستلهم علاقات العاطفية العذرية ممزوجة بالمكان العربي / الدمشقي ، على العكس تماماً من نفعية العلاقات غير العربية كما في النص الماثل أمامنا .

((كُتبَ عليَّ الشقاءُ منذُ صغري، وكُتبت عليَّ الغربةُ وآلامُها، تنقلتُ في بلادٍ كثيرةٍ، وسكنتُ بلداناً كثيرةً لكنَّ بلداً واحداً في الكون سكنني، واحتلَّ أجزاءَ ذاكرتي وماضيَّ وحاضري ومستقبلي، إنه الشام عشقي الأزلي الذي لم يفتأ حبُّه ينمو في داخلي إلى أن تحولَ إلى غابةٍ من المشاعرِ، وبحرٍ من الأشواقِ، وسماءٍ من الرؤى. ما أسهلَ أن نحملَ حقيبةَ سفرِنا، ونمتطي جناحَ الغربة، وما أصعبَ أن نحملَ وطنَنا في حقيبتِنا.)) [19]

ثمة بؤرة دلاليّة يدور حولها الرّاوي بين الحين والأخر يثبت من خلالها الوفاء والحنين وشعور الغربة الممزوج بذاكرة حيّة لكل تفاصيل المكان الغائب ، فعلى الصيد التقسيم السردي يمكن عد الشام (مكان عام) ، لكن تمظهراته الدلالية هنا تمنحه صفة الخصوصية وكأن شدة الحنين تمتزج برغبة الامتلاك الخاص ، فعلى صيد استذكار سلسلة السيرة العمرية (منذُ صغري)، مروراً بـ (، تنقلتُ في بلادٍ كثيرةٍ) يبقى المكان / الولادة هو الأكثر تجليّا (الشام عشقي الأزلي) ، وبالعودة إلى المرجعية المعجمية إلى (عشقي / الأزلي) ، يمكننا أن ندرك حجم هذا الحنين مكان الهجرة : شعور القلق :

يرتبط القلق بعلم النفس بتوتر جسدي واعراض سلوكية وربما تتعارض بحسب علم النفس مع الأنشطة اليومية بشكل عام، مثل هكذا نوبات قلق وهلع ومواقف اجتماعية ما هي التي حددت العلاقة ما بين المكان والراوي، اذ تجسدت أكثر من صفة تقاطع بين المكان وتفاصيله التي تعيشها شخصية الراوي، وربما كان الإيحاء او المباشرة في بعض الأحيان هي من قاد دفة العمل نحو وظائف فنية ودلالية في بحثها عن الهوية الضائعة، بوصف الذاكرة السردية هذه هي التي يتم التعامل معها بوصفها انشغالا بالواقع والماضي في آن .

- ((حينها انتهى وقت السكن الجامعي، ويجب أن أدفع القسط من جديد، فوصلني من الهجرة والجوازات قرار بوجوب سفري إلى سورية مباشرة، فمهمتي انتهت لعدم وجود المال الذي يجب أن أسدده، راجعت فرع الهجرة والجوازات، فأخبروني بقرارهم، وقالوا يجب أن تسافر غداً:)) [20]

علاقة الفرد بالمكان علاقة تجاذب وهي علاقة تفرض طبيعة الحوار التي تتجاوز الشكل الهندسي المفترض ، فعلى الصعيد الدلالي يمكن أن يكون السكن الجامعي هو سياق علمي ، بينما على الصعيد الروائي يمكن القول إنه ملاذ من الهجرة ، المكان على صعيد النص تتجلى فيه استراتيجية ، المكان الأليف والمعادي حيث لكل منهما فلسفته الخاصة ففي الوقت الذي يعدّ فيه السكن الجامعي ملاذاً يمكن عدّ سورياً المقابل المتضاد لذلك المكان ، في حين يمكن عد المكان (الهجرة والجوازات) ، هو المكان المؤدي إلى هدم الهوّة بين المكانين .

((-اذهب إلى بلادك، لم يعد لك مكان في أمريكا

-لماذا؟

- حين كنت أحاورهم كانت امرأة جالسة في المكتب تسمع المقابلة، وربما شعرت برغبتي الحارقة في البقاء في أمريكا، تدخّلت في الموضوع، وطلبت ملفّي، وبدأت تقرأ، كنت أشعر بتوتر شديد، وأدخن السيجارة، وكان التدخين مسموحاً حينها، سألتني بعض الأسئلة، قلت لها:
- أخبروني أن طائرتي إلى سورية غداً في الثامنة صباحاً، أريد أن أدرس هنا.)) [21]

يتجلى شعور الذات بين مكانين مختلفين ، فالشعور بالمكان العربي غير المكان الغربي ، احدهما مكان الولادة وآخر مكان الملاذ (المهجر) ، بوصفه المكان البديل للمكان الأصيل ، ولعل مما يمكن أن يسجل في الاطار الفني للموضوع هو شعرية السؤال المترتب على الحوار ، والذي يمكن عدّه نقطة تحوّل تثير ما يترتب على ما بعد السؤال بما قبله .

- ((عاد رجل النور -يا حبيبتي- وأنقذني من جديد، تدخلت المرأة وأنا لا أعرف من تكون، فكان قرار فرع الهجرة والجوازات أن ملفي بعد الدراسة والتدقيق لا مشكلة تتعلق به، وأني لم أخطئ طيلة مرحلة وجودي على الأراضي الأمريكية، لذا لا مانع من إبقائي وإكمال دراستي، وأُغلق الملف. كانت تدعى أدريان تيرنر، وكنت قد تواصلت معها لاحقاً، وشعرت بالامتنان الشديد لها.)) [22]

رجل النور علامة سيميائية قارّة في الثقافة العربية بوصفها ذات مرجعيات دينية وثقافة ، ويرتبط الإنقاذ به من جهتين الأولى بما تحمله من دلالات تحيل إلى كل ما هو إيجابي ، والثانية الملازمة الفعلية لكل تصرفات الشخصية الرئيسة ، إن تجاذب الذات بين مصيرين مختلفين يمكن أن يحيل الشخصية إلى تجاذب يختلف كل منهما عن الاخر لما يحيل كل فعل مكاني بمرجعياته وتاريخه وواقعه الذي تعيشه الشخصية داخل فضاء الرواية ، ما بين حنين ورغبة في حياة أجمل .

- ((احتلت في المدة الأخيرة سورية مركز اهتمامي، بعد الحرب الشرسة التي انهالت عليها صارت وجعي الكبير، استمتُّ في الدفاع عنها في لجنة الدفاع عن سورية في أمريكا، نظمنا مسيرات، وأرسلنا معونات، ومحاضرات توعية. نشرت الكثير من المقالات والقصائد، أحضرت مجموعة من الوفود الأمريكية لرؤية الوضع على حقيقته، ومقابلة السيد الرئيس. حدثت سورية بقلب دام: ظلمتني الحياة كثيراً.. ومع ظلمها لا أزال أرنو إلى الشمس.. أنا متعب.. بإنسانيتي.. لا بسوريتي يجتاحني صقيع اليأس من الأمة العربية. آه يا سوريتي أيتها الكبيرة الكبيرة.. أيتها الآلهة المجللة بالضياء سامحيهم يا غالية لأنهم لا يدركون ما يفعلون.. كم كبرت في عيني التاريخ.. وكم صغروا.)) [23]

تدخل سوريا بوصفها مكان الولادة وطاقة الحنين الكامنة في نفسية الراوي حيزاً مشحوناً بطاقة حنين كبيرة ومتسمرة وهادفة اذ تسعى الذات الراوية الى أن تمارس حضورها الفعال والكاشف عن التآلف الحيوي بين سوريا بوصف الحنين اليها حنيناً سيرياً من جهة وحنيناً انسانيا من جهة اخرى إذ يبدو واضح للعيان كثافة الحنين للمكان مضاعفة وهي ترسم أمثل صور الذي تتحرك نحوه الشخصية وهيا تصارع فاعلية الصراع الدامي الذي يتعرض له المكان على نحو اخر تتسع رقعة حساسية حركة الحدث الى ماهو أكبر (أمة عربية) إذ تنعكس شبكة الدوال لتوكد تغيباً قصرياً لإنسانية المحيط بالمكان إذ تستجيب فاعلية الراوي لما هو أكبر وأكثر تجلياً انسانياً ..

- ((كان والدي كثير التباهي لأنه اشترى نصف أراضي القرية.. لكننا كنا نشعر أن هذه الأراضي ليست لنا.. بعض رجال القرية كانوا يهزؤون قائلين:

-ليس لك إلا متر في مترين حتى لو اشتريت القرية كلها..

فكان يغضب، ويرفع يده... كان يهزأ حين عادت أمي من جزر النخيل سائلاً إياها إن كانت قد رأت جلالة الملك، ومن أين أتت بالمال. أخبرته أنها باعت قطعة أرض لوالدها، فلعن والدها ووالد والدها.)) [24]

ينهض شعور القلق من هيمنة مناخ الاستلاب (لكننا كنا نشعر أن هذه الأرض ليست لنا) ، لكن تبدو شخصية الوالد شخصية مستقرة إلا أنها شخصية قلقة ومتحركة، نوع الفضاء السلبي قدر تعلق الامر بعائلة الراوي العليم الى ان هذه الشخصية على صعيد احساسها بالمكان ورغبتها بالانتماء إليه أكثر تعقيدا واكثر سلبية ومن ثم فإنه يتعامل مع المكان تعاملا نفعيا وهذا ما يعكس على استظهار القيمة المكانية واهميتها عند الراوي.

((كانت الطائرة تابعة للخطوط الجوية اللبنانية- ميدل إيست. لم أجد أحداً فيها، فسألت المضيفة عن السبب، فأخبرتني أنني اليوم ضيفهم الوحيد.. عاد الخوف يتملكني من جديد.

أخبرتني المضيفة أننا قد نهبط في مطار الشام لا في مطار بيروت.. صرخت:

-أنا قادم إلى بيروت حسب كلام جلالة الملك

قرر الكابتن أن تهبط الطائرة في سورية، خفت كثيراً، هل سأتوجه إلى مشكلة جديدة بعد أن شعرت بالفرج؟

وفعلاً توجه الكابتن إلى سورية، وشرعت أعصابي بالتوتر والخوف، فقد كنت متخلفاً عن الخدمة الإلزامية، إلى أن ساءت الأحوال الجوية فجأة، فقد ظل يحوم في سماء سورية من غير أن يستطيع الهبوط لسوء الأحوال الجوية، فقرر التوجه إلى بيروت.)) [25]

يبدو التوجه إلى بيروت وسوريا لحظات يخيم عليها التوتر السلبي الذي تعيشه الشخصية وتبدو فكرة علاقة الشخصية بالمكان علاقة شخصية إذا يفترض أنها تنطوي على الأمان والمحبة والاطمئنان إلا أنها كانت ملغومة بعبارات التوجس والحذر إذ تبدو الأمكنة هنا مشحونة بطاقة سلبية كبيرة تجعل التالف ليس ميدانا للتأقلم مع المكان إذ تتجلى فكرة المكان المعادي العام على أنها اقصى درجات الصراع بين الشخصية والمكان إذ تقتحم مجموعة علامات هذه العلاقة وتحتشد بها كي تبين عمق الهوة بين الشخصية والمكان .

((- ماذا تقصد؟ لم أفهم

-هل أريحك؟ أنا أحب بلدي أكثر منهم.. أنا لا أريد شيئاً. هم الذين يريدون.. إذن أنا الأقوى

تابعت مستفهماً، سائلاً، مستغرباً، ففأجأني بسؤاله:

-هل أنت شيوعي يا عزام؟

-صعقت حين سمعت هذه الكلمة من معتوق.. ضحك مؤكداً لي أنه من أول أسبوع رآني فيه اكتشف ميولي السياسية، ونصحني بلمّ رزقي كي لا تدهسني الأقدام!!!

لقد تمكن أخيراً من الحصول على إجازة، أما أنا فبقيت مع والدي الذي كان يؤنبني دائماً:

-لو تركت راتبك معك لصرفته مع حسني على الراقصات

-سهرنا سهرة طرب ليس فيها راقصة... سأريحك مني وأعود إلى سورية

-هذا ما تريده.. أن تعود إلى رفاقك المشرّدين... أبشّرك أنك لن تحقق هذه الأمنية.))[26]

إن ما ينهض عليه الحوار بما يحمله من افكار ومستويات ، وحركة إيقاعية تناسب الدلالة تنم عن وعي بعلاقة التقانات السردية مع المضمون ، فضلاً عن كون هذا الحوار يكشف عن الطبيعة التي جبلت عليها شخصية الأب ، في حين يبدو شعور القلق واضحاً لدى شخصية الرّاوي وهي تشتغل على اثبات حب البلد من جهة ، وإن العودة إليه تمثل اقصى حالات القلق في مستويات معينة ، لرغبته في العيش بهدوء من جهة ، ومتابعة رغباته من جهة أخرى .

(حين شعرت هيلين أني تزوجتها لكي أحصل على الإقامة، وأتمكن من البقاء على الأراضي الأمريكية تقدمت بشكوى ضدي تتهمني أني تزوجتها لهذا السبب، وطالبت بالطلاق، كانت الهجرة والجوازات تبحث عني، وذات يوم وصلتني رسالة، وكنت أقيم مع روث، وكان مضمون الرسالة تهديدي بأن معي ثلاثين يوماً لكي أهيئ نفسي للرحيل، أو يجب أن أرد على الرسالة) [27]

علاقة الرّاوي بالمكان غير العربي وما يحيط به هي علاقة نفعية تنهض من خلال البحث عن شعور الاطمئنان ، ويبدو أن الإقامة واحدة من أهم عوامل الاطمئنان هذه ، تظهر شخصية

هيلين غير العربية بوصفها بداية الرواية على أنها عامل مساعد ومن خلالها تظهر علاقة الرّاوي بالمكان غير العربي وتتجلى الدلالات التي يسعى إليها لكنّ هذا الشعور ما يلبث أن ينقطع ويهيمن مناخ القلق مرّة أخرى على شخصية الرّاوي ، وهذا ما يبرر طبيعة تجليات المكان العربي عن غير العربي .

الخاتمة:

1- تبين من خلال البحث أن السرد هو تقنية من تقنات الوصف لسير الاحداث والذي تم من خلاله تحويل الحكاية الى قصة فنية تشمل الراوي والمنظور الروائي.

2- كشفنا من خلال البحث أن للبعد المكاني مجموعة من العلاقات التي تسهم بشكل فعال في تشكيل الرؤية والتي من خلالها تعطي انطباعا خاصا للقارئ

3- من خلال البحث تبين أن للانعكاسات الدلالية اثرا في الكشف عن البعد النفسي للراوي وبيان مدى حنينه ولاسيما الحنين الى مكان الولادة من خلال التكرارات والتشبيهات الواردة على مستوى الرواية

4- كشفنا من خلال البحث أن السرد هو عملية انتاج يمثل فيها الراوي دور المنتج ويمثل فيها المتلقي دور المستهلك

الهوامش:

---

[1])- المكان في رواية شرق المتوسط، (عبد الرحمن منيف)، أرشد يوسف عباس، مجلة جامعة كركوك، مج7، ع2، 2012، ص2.

(2) جماليات المكان، اعتدال عثمان مجلة الأقلام، بغداد، العدد 2 لسنة 1986: 76.

(3) الشخصية أنواعها: رياض سعد، دار اقرأ ، السعودية ، الطبعة الاولى 2005 ، . 11

(4) معجم مصطلحات نقد الرواية: 105.

[5] شحنات المكان، جدلية التشكيل والتأثير، ياسين النصير، دار الشؤون الثقافة العامة، ط1، بغداد، 2011: 198.

([6]) روائي وصحفي سوري، مواليد درعا، 1954، حصل على شهادة الثانوية من ثانوية درعا عام 1978، هاجر إلى أمريكا 1987، نال درجة الإجازة في الصحافة من جامعة كولومبيا.

(7) الراوي الذاتيّ: من سيرة المؤلّف إلى مُتَخيَّل الشخصيّة ، محمّد صابر عبيد ضمن كتاب ، جماليّات النصّ الروائيّ: المرجع والمتخيّل ، قراءات في رواية (رائحة التفاصيل) لسليمان الصدّي ، (مجموعة مؤلّفين) ، 8 .

([8])((الدونجوان)) و((زير النساء)) ، قراءة في إشكاليّة الشخصية الرئيسة في رواية (رائحة التفاصيل) ، د. محمد يونس صالح ، ضمن كتاب ، جماليّات النصّ الروائيّ: المرجع والمتخيّل ، قراءات في رواية (رائحة التفاصيل) لسليمان الصدّي ، (مجموعة مؤلّفين) ، 85 .

([9])- ينظر :المتلقي وفلسفة المكان رواية (شواطئ الدم شواطئ الملح) انموذجا، أ.م.د. أرشد يوسف عباس، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، مج8، ع3،2013، 9.

[(10)] المكان في رسالة الغفران، اشكاله ووظائفه: عبد الوهاب زعفران، دار صامد للنشر، طبعة الثانية، صفاقس 1985، ص 910.

[(11)] الرواية والمكان، دراسة المكان الروائي، ياسين النصير، دار نينوى للدراسات والنشر، ط2 ، دمشق 2010 ، ص 5.

([12]) رائحة التفاصيل: رواية، سليمان الصدي، دار كنانة للطباعة والنشر، ط1، 2018، ص 15.

([13]) الرواية ، 12-13.

([14]) الرواية ، 21-22.

([15]) الرواية ، 19-20.

([16]) الرواية ، 250 .

(17) الرواية ، ، 122-123.

(18) - الرواية ، 109.

(19) الرواية ، 15.

([20]) الرواية ، 21-22.

([21]) الرواية ، 21-22.

([22]) الرواية ، 21-22.

([23]) الرواية ، 250.

([24]) الرواية ، 250.

([25]) الرواية ،150.

([26]) الرواية ، 150

([27]) - الرواية ، 132.

المصادروالمراجع :

- رائحة التفاصيل: رواية، سليمان الصدي، دار كنانة للطباعة والنشر، ط1، 2018 .

الرواية والمكان، دراسة المكان الروائي، ياسين النصير، دار نينوى للدراسات والنشر، ط2 ، دمشق 2010 .

- شحنات المكان، جدلية التشكيل والتأثير، ياسين النصير، دار الشؤون الثقافة العامة، ط1، بغداد، 2011 .

- الشخصية أنواعها : رياض سعد، دار اقرأ، السعودية ، الطبعة الأولى ، 2005 .

- معجم مصطلحات نقد الرواية : لطيف زيتوني ، مكتبة لبنان ناشرون ، دار النهر للنشر ،
- المكان في رسالة الغفران، اشكاله ووظائفه: عبد الوهاب زعفران، دار صامد للنشر، طبعة الثانية، صفاقس 1985 .

الدوريات :

- ((الدونجوان)) و((زير النساء))، قراءة في إشكاليّة الشخصية الرئيسة في رواية (رائحة التفاصيل) ، د. محمد يونس صالح ، ضمن كتاب ، جماليّات النصّ الروائيّ: المرجع والمتخيّل ، قراءات في رواية (رائحة التفاصيل) لسليمان الصدّي ، (مجموعة مؤلّفين) ، دار غيداء للطباعة والنشر ، عمان 2022 .
- جماليات المكان، اعتدال عثمان مجلة الأقلام، بغداد، العدد 2 لسنة 1986 .
- الراوي الذاتيّ: من سيرة المؤلّف إلى مُتَخيَّل الشخصيّة، محمّد صابر عبيد ضمن كتاب، جماليّات النصّ الروائيّ: المرجع والمتخيّل، قراءات في رواية (رائحة التفاصيل) لسليمان الصدّي ، (مجموعة مؤلّفين) ، دار غيداء للطباعة والنشر ، عمان 2022 .
- المتلقي وفلسفة المكان رواية (شواطئ الدم شواطئ الملح) انموذجا، أ.م.د. أرشد يوسف عباس، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، مج8، ع3،2013.
- المتلقي وفلسفة المكان رواية (شواطئ الدم شواطئ الملح) انموذجا، أ.م.د. أرشد يوسف عباس، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، مج8، ع3،2013 .
- المكان في رواية شرق المتوسط، (عبد الرحمن منيف)، أ.م.د. أرشد يوسف عباس، مجلة جامعة كركوك، مج7، ع2، 2012.

المصادروالمراجع العربية باللغة الانكليزية

-The Smell of Details: A Novel, Suleiman Al-Sadi, Dar Kanana for Printing and Publishing, 1st ed., 2018.

The Novel and Place, A Study of the Novelistic Place, Yassin Al-Naseer, Dar Ninawa for Studies and Publishing, 2nd ed., Damascus 2010.

-Place Charges, The Dialectic of Formation and Influence, Yassin Al-Naseer, Dar Al-Shu'un Al-Thaqafah Al-Amma, 1st ed., Baghdad, 2011.

-Character Types: Riad Saad, Dar Iqraa, Saudi Arabia, First Edition, 2005.

-Dictionary of Novel Criticism Terms: Latif Zaytouni, Lebanon Publishers Library, Dar Al-Nahr for Publishing.

-Place in the Epistle of Forgiveness, Its Forms and Functions: Abdul-Wahhab Zafran, Dar Samed for Publishing, Second Edition, Sfax 1985.

Periodicals:

)) -Don Juan)) and ((Women's Minister)), A Reading of the Problem of the Main Character in the Novel (The Smell of Details), Dr. Muhammad Yunus Salih, in the book, Aesthetics of the Novel Text: Reference and Imagination, Readings in the Novel (The Smell of Details) by Suleiman Al-Sadi, (a group of authors), Ghaidaa Printing and Publishing House, Amman 2022.

-Aesthetics of Place, Itidal Othman, Al-Aqlam Magazine, Baghdad, Issue 2, 1986.

-The Self-Narrator: From the Author's Biography to the Character's Imagination, Muhammad Saber Ubaid, in the book, Aesthetics of the Novel Text: Reference and Imagination, Readings in the Novel (The Smell of Details) by Suleiman Al-Sadi, (a group of authors), Ghaidaa Printing and Publishing House, Amman 2022.

-The Recipient and the Philosophy of Place, The Novel (Blood Shores, Salt Shores) as a Model, Asst. Prof. Dr. Arshad Yousef Abbas, Kirkuk University Journal for Humanities, Vol. 8, No. 3, 2013.

-The Recipient and the Philosophy of Place, The Novel (Blood Shores, Salt Shores) as a Model, Asst. Prof. Dr. Arshad Yousef Abbas, Kirkuk University Journal for Humanities, Vol. 8, No. 3, 2013.

-Place in the Eastern Mediterranean Novel, (Abdul Rahman Munif), Asst. Prof. Dr. Arshad Yousef Abbas, Kirkuk University Journal, Vol. 7, No. 2, 2012.

The narrative place and the narrator's manifestations: A reading of the novel (The Smell of Details) by Suleiman Al-Sadi

Dr. Khaled Mahmoud Khalaf Al-Jabouri
College of Education for Humanities
University of Kirkuk
dr.khalidmahmood@uokirkuk.edu.iq

Keywords: Place, Smell of Details, Novel.

Summary:

The study, which was divided according to the main manifestations of place in the novel (The Smell of Details), seeks to identify the relationship between place and narrator, which showed the extent of the difference between the place of birth and the place of alienation, which dealt with the different events and characters in each place, and tried to understand the main character who leads the work in general.